هوامش

عملت الحكومة المغربية على مُضاعفة جهودها من أجل التفكير في ترميم البابين الشهيرين بمدينة مراكش، لما يلعبانه من دور كواجهةٍ سياحية بالمنطقة

تلعب هذه الأبواب دوراً كبيراً في ذاكرة المنطقة (Getty)

أبواب مراكش

ترميم ذاكرة المغرب المعمارية

أشرف الحساني

ينتمي البابان التاريخيان المغربيان «باب أغمات» و«باب دكالة» إلى عهد الدولة المُرابطية، التي حكمت المغرب في فترة حرجة من تاريخه الوسيط، مع نشر الإسلام الذي كان ضرورياً في رحاب الصحراء، وترسيخ القواعد القبلية، ما جعلها تُؤسّس لاحقاً، قبلياً وتنظيمياً، دولة قويّة البُنيان، شامخة التشييد على المستوى الحضاري. ولم يكُن البابان في مدينة مراكش، إلّا من ثمرات هذا التراث المعماري إلى جانب أبواب أخرى لعبت دوراً كبيراً في ذاكرة المنطقة. وإلى جانب ما يحمله البابان من أهميّة تاريخية تعود إلى القرن الـ 12، فإنّ ملامحهما الجماليّة تُؤكّد المكانة الفنّية التي وصل إليها المرابطون في تأسيس دولة وصلت سُلطتها إلى حدود ربوع المغرب الأوسط. المُثير للدهشة أنّ المعمار المرابطي، أسهم فيه علماء ومهندسون ومُصمّمون قدموا من الأندلس وأثروا في خصوصية هذا التراث الفنّي، فكانت هذه المرحلة ذات جماليّة مغربيّة مطبوعة بمُخيّلة أندلسية، حاولت أنْ تقطع تدريجاً مع الفنّ البيزنطي الذي طبع بلاد المغرب الأقصى قبل قيام الدولة المرابطية.

على هذا الأساس، وفي مُحاولة تثمين التراث المعماري بجهة مراكش-آسفي، وجعله قاطرة صوب التنمية، عملت المديرية الجهوية للثقافة، على مُضاعفة جهودها من أجل التفكير في ترميم البابين الشهيرين في مدينة مراكش، لما يلعبانه من دور كواجهةٍ سياحية بالمنطقة، خاصّة أنّهما يُعتبران مدخلين سياحيين للمدينة القديمة وكنوزها المعمارية. ثمّ لكونهما يحملان دلالة عسكرية وأبعاداً حضارية كنوعٍ من تبيان القوّة والاستقرار إبان الحقبة المُرابطية. هذا الأمر، جعل زعماء الدولة يُفكّرون في نقل إشعاعهم المعماري بعد سلسلة حروب شهدتها الدولة. كذلك إنّ هذا المجهود لن يبقى، حقيقةً، حبيسَ عملية تقنية تُدعى «الترميم»، بقدر ما عزمت الجهة على تحويل بابي «أغمات» و«دكالة» إلى فضاءين ثقافيين لإقامة عروض جماليّة ولقاءات تراثية وثقافية ومعارض فنّية. ما يجعل الفضاءين التاريخيين يخرجان من ذاكرتهما التليدة ويعيشان حياة ثانية ضمن سيرورة الحداثة ومُسايرة تحوّلات الواقع المغربي.

وإذا كان البابان المرابطيان يعتبران معلمين عريقين، فإنّ ذلك لم يمنع المديرية الجهوية للثقافة من جعلهما أفقاً لتنمية السياحة المحلية، بما تتطلّبه من ترميم وتجديدٍ لمُختلف قاعات العرض والمرافق الصحية وصيانة فضاءاتها الخارجية، خصوصاً أنّ مراكش تُعتبر من أكبر المُدن السياحية في المغرب، وتعتمد بالدرجة الأولى على العنصر التراثي في تغذية السياحة محلياً وجلب أكبر عدد من السياح والمثقفين والفنانين من كل بقاع العالم. وبالتالي، إنّ الاهتمام بتثمين تراثها الثقافي يبرز كضرورة مُلحّة على العاملين في الشأن التراثي للعناية بذاكرة المرابطين وحضارتهم.

كذلك إنّ «الاستقرار» الذي طبع حياة المرابطين السياسية الأولى مع الزعيم والداعية عبد الله بن ياسين، كان له أثر كبير في ترسيخ تيجان حكمهم خلال عهد يوسف بن تاشفين من خلال إقامة الأسوار وبناء المساجد والأبواب، التي تُشكّل مدخلاً معمارياً للمدينة القديمة. ذلك أنّ الأبواب لم تكُن مجرّد أبنية مدنية لدى المرابطين، بل تُمثل الأوج المعماري الذي وصلت إليه دولتهم، الذي ستجري تغذيته وتثمينه مع الدولة الموحدية.

لذلك، إنّ الباحث عن معالم التراث الديني المعماري، يجد في الحضارة المُرابطية وأبوابها بالمغرب مادّة غنيّة في محاولة تلمّس هذا التراث الثقافي والعلاقة التي نشأت في العصر الوسيط بين الفنّي والديني. وهكذا، قد يجد السائح أنّ البابين لم يخرجا، على المستوى الجماليّ، عن الطابع الإسلامي في التعريف والنظر إلى الفنّ. ولأنّ المَساجد كانت أوّل معمار بناه المسلمون وبرعوا فيه داخل المنطقة العربيّة، فإنّ ذلك كان عاملاً أساسياً في انتقال كلّ ما هو ديني إلى عمق جماليّات الأسوار والأبواب التي شُيّدت لاحقاً.

باختصار

المُثير للدهشة أنّ المعمار المرابطي، أسهم فيه علماء ومهندسون ومُصمّمون قدموا من الأندلس وأثروا في خصوصية هذا التراث الفنّي

■■■

مراكش تُعتبر من أكبر المُدن السياحية في المغرب وتعتمد بالدرجة الأولى على العنصر التراثي في تغذية السياحة محلياً

■■■

الأبواب لم تكُن مجرّد أبنية مدنية لدى المرابطين، بل تُمثل الأوج المعماري الذي وصلت إليه دولتهم

وأخيراً

نساء في غرفة فرجينيا وولف

محمود الرحبي

من الشخصيات الأدبية العالمية التي تركت تأثيراً كبيراً في الأدب، وتسلّل أثرها إلى الكتابات العربية، الإنجليزية فرجينيا وولف. وكثيراً ما نكتشف كتاباً أو مجموعة قصصية أو ترجمة انطلق من هذه الكاتبة، كما حدث مع المغربية لطيفة باقا، حين ألّفت مجموعة قصصية تحت عنوان «غرفة فرجينيا وولف»، والمصرية فاطمة ناعوت التي أعجبت بتجربتها، وألّفت محاضرات عنها، وترجمت نصوصاً لها تحت عنواني «جيوب مثقلة بالحجارة» و«أثر الحائط».

أخيراً، أصدرت الباحثة الكويتية، سعاد العنزي، كتاباً بعنوان «نساء في غرفة فرجينيا وولف» (دار نينوى، دمشق، 2021)، تقارن فيه بين حياتي فرجينيا وولف والكاتبة المصرية من أصول فلسطينية مي زيادة، جاء في 272 صفحة، وقد مُهِّد لموضوعه بمقدّمة وافية حملت عنوان «سليلات شهرزاد يلتقين أمام بئر الحداثة»، ثم انضوت مجموعة من العناوين والفصول تحت ثلاثة أبواب: «تجمعنا الحكاية وتفرّقنا الجغرافيا» و«فرجينيا وولف ومي زيادة وقطف ثمار المعرفة» و«منارات في القصيدة.. معدمات في الحياة». وسعت العناوين الفرعية إلى الإصغاء إلى أهمّ سمات حياة الشخصيتين ومن مختلف الزوايا، عبر فصول متوالية زمنياً وموضوعياً، منها «حياة فرجينيا وولف ومي زيادة وقطف ثمار المعرفة»، «جرح في العقل»، «فراشتا التنوير في زمن الحداثة المعطوبة»، «مي زيادة فكر متجدد يعانق أفق الكونية». وجاءت الخاتمة بعنوان «درويشي» معبّر «لا أريد لهذه الحكاية أن تنتهي».

أهمية الكتاب في أنه يبحث في أسس الحركة النسوية وجذورها، في شقّيها الاجتماعي والأدبي، عبر تفكيك لحياتَي العلمين الأبرز في هذا السياق، غربياً وعربياً، فرجينيا وولف ومي زيادة. وتعلن الدراسة منهجَها المقارن المتتبع خيوط التجربتين على المستويين، الوجودي والفكري، ووضع نقاط ضوء على أهم محطات الصراع والتحدّي التي اعترت حياة كل منهما، إذ تلتقي مي زيادة بفرجينيا وولف في أكثر من جانب؛ لعل الأهم ما يخص معاناتهما الإنسانية ورؤاهما النقدية النسوية المبكرة، التي لم تجمع في سياق نقدي واحد إلا في هذا الكتاب، وهو ما حاولت الباحثة أن تفعله، حين تناوبت في الانتقال الحر (ولكن المنهج) بين حياتي الكاتبتين، وهو ما يقرّب للقارئ وجهة النظر المتعلقة بوجود تواشج مصيري وفكري وهاجس مشترك بينهما، سواء في التفاصيل أو في المآل، حيث انتهت حياة وولف منتحرة، ومي زيادة في «العصفورية» في لبنان.

واستطعنا، من خلال هذه المقاربة المنهجية، أن نعرف الكثير عن «بداية النهاية» لما عرف بعصر النهضة العربية، من خلال حياة مي زيادة وصالونها الذي استمر أكثر من عشرين عاماً، وكان يزخر برموز الأدب العربي، كالعقاد وطه حسين وغيرهما. ويتميز الكتاب أيضاً بوفرة المراجع والمصادر الأجنبية والعربية التي سعت الكاتبة لقراءتها، لمعرفة تفاصيل حياتي الكاتبتين، وخلف منهج «مقارباتي» لكتابها أقنعت به القارئ عن جدارة. ففيما يتعلق بفرجينيا وولف، نكتشف أن دراسات كثيرة بالإنجليزية تناولت كتبها وحياتها المأساوية، كما نكتشف، وهنا مكمن الغرابة، أنه فيما كان يُسمح لمي زيادة بالتعلم والتنقل ودراسة لغاتٍ حية كثيرة (بلغ عددها تسعاً)، كان والد فرجينيا وولف يمنعها من دخول الجامعة، وسمح لأبنائه الذكور فقط بدخولها.

> كتاب يبحث في أسس الحركة النسوية وجذورها، في شقّيها الاجتماعي والأدبي، عبر تفكيك لحياتَي فرجينيا وولف ومي زيادة

توصلت سعاد العنزي إلى التقاء وتقاطع فكري وقدَري بين مي زيادة وفرجينيا وولف في أكثر من جانب، إذ ستنكشف لقارئ الكتاب لقاءاتٌ قدرية ومشترَكات مصيرية، على الرغم من أن الشخصيتين لم تلتقيا واقعياً، فإن مجموعة وشائج فكرية وسياقية، وحتى مصيرية، شكلت محطات التقاء تصادفية في حياتيهما، عرضها الكتاب وتتبعها بكيفية شائقة، تنفتح على السرود والمواقف والأسئلة، وتثير المفارقات في حياة كل من الشخصيتين، فقد وُلدت وولف وزيادة في العقد نفسه 1880، الأولى في العام الثاني منه والثانية في العام السادس، وتوفيتا في العام نفسه، 1941، «ما يعني أنهما عاشتا في الفترة الزمنية نفسها، بكل ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكل حروبها العالمية والتغيرات السياسية والاقتصادية المهمة».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**